التناص التاريخي في شعر محمد بن عثيمين (دراسة نقدية)

Historical intertextuality in the poetry of Muhammad bin Al-Othaimeen (a critical study)

أ. **سامي فالح سلطان الطريفي:** ماجستير في اللغة العربية (الأدب)، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية

Mr. SAMI FALIH SULTAN AITURIFI: MA in Arabic Language (Literature), Taif University, Saudi Arabia

Email: sssm.888@hotmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i6.395

الملخص:

تعد ظاهرة التناص نظرية حديثة تستعرض ما يحدث في النص من تشابه وتباين مع ما سبقه من نصوص سواء أكان ذلك في اللفظ، أو المعنى، أو الصورة، ومن ثم اتحه البحث إلى استبطان نصوص ابن عثيمين واستنطاقها من خلال كشف علاقات تقاطعها مع النصوص، بما في ذلك من حوادث تاريخية، إضافة إلى المعالم الجغرافية والشخصية، وربط تلك الأبعاد والعلاقات بالبناء الكلي للنص، وعلاقتها بالمتناص معه، وهو المحور الذي يدور حوله البحث بشكل رئيس. وتستخدم الدراسة المنهج التحليلي النقدي؛ لتخرج الدراسة بصورة واضحة وسهلة وقريبة لكل من يطلع عليها. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: إن ابن عثيمين اعتمد على التناص التاريخي، لما وجد فيهما من قيمة جمالية وفنية لشعره، وبما تتمتع به الأحداث، والشخصيات، والأماكن من إضافة قيمة لنصوصه، كما وظف الشاعر التناص الديني في نصوصه من باب النصح والإرشاد والتذكير لمن يحب، والغاية التي يرومها ابن عثيمين من إشاراته إلى النصوص التاريخية، فإنها تمثل برهاناً لقوله وحجة أوردها بلسانه. أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أبرزها أنَّ: ديوان الشاعر بيئة خصبة للباحثين في شتى مجالات الشعر، وقد وضع العديد من قصائدة في كتب وزارة التعليم الدراسية مما سهل عملية الوصول إليها.

الكلمات المفتاحية: ديوان، العقد، شعر، التناص، محمد بن عثيمين، سعوديات ابن عثيمين

Abstract

The phenomenon of intertextuality is a modern theory that reviews the similarities and contrasts that occur in the text with previous texts, whether in terms of word, meaning, or image. Then the research turned to deduct the texts of Bin Al-Othaimeen and Interrogate them, by revealing its intersection with texts, including historical episodes, in addition to geographical and personal features, and linking those dimensions and relationships to the overall structure of the text, and their relationship to the text that intertext with it, which is the theme that the research mainly discusses. The study uses the analytical-critical approach, so that the study comes out in a clear and easy way for everyone who reads it.

The study found a set of results and the most significant are: Bin Al-Othaimeen depended on historical intertextuality, because he found in them

the aesthetic and artistic value of his poetry, with what the events, personalities, and places possesses of adding value to his texts. The poet also employed religious intertextuality in his texts in terms of advising, guiding, and reminding those he loves. Thus, the goal that Bin Al-Othaimeen intends by referring to the historical texts is a proof of what he said and an argument he cited. The study recommended a set of recommendations, the most important of which are: The poet's diwan is a fruitful environment for researchers in various fields of poetry, and many poems are included in the books of the Ministry of Education, which facilitated the process of accessing them.

Keywords: Diwan, contract, poetry, intertextuality, Muhammad bin AlOthaimeen.

المقدمة:

يعد الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين من أبرز القامات الشعرية في الجزيرة العربية، والعالم العربي في عصرنا الحديث؛ وذلك لما امتاز به شعره من قوة ورصانة، وبعد عن الركاكة في الألفاظ والمعاني، والفضل في ذلك يعود لثقافته الواسعة من خلال القراءة والاطلاع في دواوين فحول الشعراء، فاكتسب خبرات وتجارب من تلك الثقافة جعلته يبدع في شتى ضروب الشعر، وامتلك بها أسلوبا تعبيرياً رائعاً، وطاقة لغوية عالية، ولذلك اتجهت إليه أنظار الباحثين والدراسين، فاخذوا يستنبطون من ديوانه موضوعات لدراساتهم، ويتمحصون شعره لغةً، وأسلوباً، وصورة، ومن هذه الدراسات، دراسة لمحمود بركات والتي كانت بعنوان: (شعر ابن عثيمين دراسة في الشكل والمضمون)، وهي عبارة عن رسالة تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير، تعرض فيها لمضامين الشعر عند ابن عثيمين، فبحث في أغراض شعره، مثل: شعر المديح، والرثاء، والغزل، والحكمة، وشعر النصائح، وتطرق بعد ذلك للشكل في شعر ابن عثيمين، فكتب عن لغته، وأسلوبه، وموسيقاه الشعرية، وصوره الفنية، ثم إنه ألمح إلى المبالغة، والخطابية، والضرورة الشعرية في شعره، ودراسة لمحمد سعد حسين (اسم الدراسة): وهي عبارة عن وقفات نقدية، تمثلت في تسجيل بعض أغراض شعره وبعض خصائص نثره، ولعبدالعزيز الخويطر كتاب أخرجه بعنوان: (قـراءة فـي ديوان الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين)، عرج فيها على بعض الألفاظ، والتراكيب اللغوية التي استخدمها ابن عثيمين في شعره، ثم تحدث عن مدى تأثره بمجتمعه وما يدور حوله، من أدوات للحرب، وعوامل الطبيعة، والأفلاك، وغيرها من تراكيب وألفاظ شعره، كما وقف على بعض الأساليب والتراكيب البلاغية في شعره، مثل: الجناس، وأسلوب المغالاة، وختم كتابه بنبذه عن ثقافة ابن عثيمين ومصادرها، والتي كانت واضحة و جلية في شعره، وللسيد أحمد أبو الفضل رسالة دكتوراه عن شعر ابن عثيمين، عنوانها: (محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز)، ذكر أبو الفضل حياة ابن عثيمين، وصلته بملوك العرب، ثم تحدث عن المغفور له الملك عبدالعزيز، وبعض فتوحاته، والتي وردت في شعره، ثم بين أغراض شعره، وقام بدراسة فنية حول شعره، فتناول مقدمات القصائد، وخواتيمها، وبحورها، وقوافيها، وللهويمل كتاب أسماه: (سعوديات ابن عثيمين)، تضمن بعض أغراض شعره، ومصادر ثقافته، وظاهرة المطالع الخمرية والغزلية والطللية في شعره، كما نجد دراسة بعنوان: (ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد) وهي عبارة عن رسالة دكتوراه، لعبدالعزيز الفريح، وليس فيها سوى ذكر الأحداث التاريخية المتصلة ببعض القصائد التي قيلت في الملك عبدالعزيز، أما آخر الدراسات التي تناولت شعر ابن عثيمين، فهي رسالة ماجستير للباحثة جميلة القحطاني، تحت عنوان (الصورة البيانية في العقد الثمين من شعر ابن عثيمين)، ودرست فيها الصورة البيانية التي حضرت في ديوان الشاعر بشكل عام. ولعل عدم وجود دراسة متخصصة تدرس التناص في شعر ابن عثيمين؛ سبب عزز ميولي نحوه،

وذلك لاستكشاف هذا الموضوع في شعره، وتحديد أبعاده؛ لأنه لم يدرس من قبل من جهة، ولبروزه بشكل واضح في معظم قصائده من جهة أخرى.

فالتناص ظاهرة نظرية حديثة، تستعرض ما يحدث في النص من تقاطع مع نصوص سابقة عليه، سواء أكان ذلك في اللفظ، أم المعنى، أم الصورة، وفي هذه الدراسة إستجلاء لمفهوم التناص وأنواعه عند جوليا كرستيفا وغيرها، ممن كان لهم السبق في بسط نظرية التناص، وتحديد ملامحها، وأشكالها، وبعد ذلك تتجه الدراسة إلى استبطان نصوص ابن عثيمين، واستنطاقها من خلال للكشف عن العلاقات والدلالات الرابطة لها مع نصوص سابقة، وذلك في بعض الأحداث والشخصيات والأماكن التاريخية، وبعد ذلك يتم ربط العلاقات بالبناء الكلي للنص

مشكلة وتساؤلات الدراسة:

يعتبر الشاعر محمد بن عثيمين من أهم الشعراء الذين أحيوا وأنعشوا الشعر العربي الفصيح في عصرنا الحديث، كيف لا وهو ظهر وأبدع وتميز وتألق في زمن كان الشعر العامي قد بسط جناحيه وأستولى على المجتمع بشكل كبير، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في الآتي:

1- ما العوامل التي أثرت في شعر ابن عثيمين؟

2- ما مدى تآثر الشاعر بالتاريخ من خلال توظيفه للتناص مع الأحداث، أو الشخصيات، أو الأماكن التاريخية؟

منهج الدراسة:

بُنيت هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي؛ لتخرج الدراسة بصورة واضحة وسهلة وقريبة لكل من يطلع عليها.

أهداف الدراسة:

1- التعريف بالشاعر محمد بن عثيمين من خلال نبذة بسيطة عن حياته وعن شعره

2- توضيح مدى ثقافته وإطلاعه بشكل عام، والتي أثرت في العديد من قصائده

3- توضيح قوة الشعر العربي الفصيح عند الشاعر

4- التعرف على التناص مع النصوص السابقة سواءً أكان ذلك باللفظ أو المعنى.

أهمية الدراسة:

1- تنبع أهمية الدراسة من أهمية شعر ابن عثيمين، وذلك لما يتمتع به شعره من محاكاة للشعر الفصيح بدرجة كبيرة، وما يتمتع به شعره من زخم في أغراض الشعر بشكل عام.

2- كما تبع أهمية الدراسة من كو أنها تتولى التوضيح للمطلع على الدراسة حجم التآثر الديني لدى الشاعر، فلا نكاد نجد قصيدةً من قصائده تخلو من التناص مع حدث تاريخي، أو شخصية، أو مكان.

هيكل الدراسة:

- الإطار المنهجي للدراسة.
- المبحث الأول: التناص مع أيام العرب وحوادثهم.
- المبحث الثاني: التناص مع الشخصيات التاريخية.
- المبحث الثالث: التناص مع المكان.
- الخاتمة
- قائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول: التناص مع أيام العرب وحوادثهم:

يتمتع التاريخ بمكانة عظيمة في الأدب العالمي والأدب العربي، فمنه يستمد الشعراء أيام الزمن الماضي وحوادثه، وذلك لأن الزمن يمتد " عبر التاريخ، وتتعاقب الأجيال على هذه البسيطة، فتنشأ الصراعات الإنسانية، وتنحسر مهما كانت دوافعها، فلكل أمة تاريخ، ولكل شعب بقعة مكانية يحيا عليها كارهاً أو راغباً، أما الصراعات فتنمو داخل النفس الإنسانية وخارجها، والشاعر فرداً من جماعة يعيش تلك الصراعات؛ ثم تنشأ في نفسه طاقة مكبوتة، يسعى إلى تفريغها، فتمر أثناء ذلك في مخيلته صور مختلفة، لتلتقي كل صورة بمثيلتها، وتتداخل تلك الصور وتنصهر لتشكل من جديد في قالبها اللغوي محملة بأبعاد واقعية ونفسية وخيالية، فيتحد الماضي بالحاضر، والقريب بالبعيد، والواقعي بالمتخيل، فيهيمن التاريخ على بعض تلك الصور، ومن هنا ينشأ التناص التاريخي بمختلف تفاصيله"[1].

[1]- أبو شرار، ابتسام، التناص الديني والتاريخي في شعر محمد درويش، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007م، ص183.

والحدث التاريخي يعد من أهم العوامل التي شكلت التاريخ، فوظفه الشعراء في أدبهم؛ للأستفادة مما يحمله من قيم دلالية وجمالية في ذاتها، وابن عثيمين شاعر من بين الشعراء الذين وظفوا بعض الأحداث التاريخية، وأعاد صياغتها في شعره، ومن الشواهد التي تدلل على تعلق ذاكرة ابن عثيمين بأصالة الماضي، ومواكبة الحاضر، استحضاره الحوادث التي حلت بالعالم عند مولد الرسول – صلى الله عليه وسلم– والتي نبأت بمجيء سيد الخلق وآخر الأنبياء قوله[1]:

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الهَادِي الَّذِي خَمَدَت فِـي يَـومِ مَـولِدِهِ لِلفُـرسِ نِيـرَانُ

فهو يحيلنا إلى حدث تاريخي، له أبعاد، ودلالات تعبيرية، وهو حدث تاريخي ينمي مدارك المتلقي، نحو التوسع من خلال القراءة، فإنه " لما كانت ليلة ولد فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ارتج ايوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس والتي لم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة" [2]، فكل هذه العلامات نبأت بقدومه صلى الله عليه وسلم، ليخرج البشر من براثن الشرك، وينشر العدل والسلام بتعاليم الإسلام، فابن عثيمين عمد إلى هذه الحادثة؛ ليبرهن به على ثقافته الراقية، من خلال الاطلاع على الأحداث التاريخية، فعزز تجربته الشعرية بذلك، وأحاط بها إحاطة شاملة، قادته إلى توظيف الحدث توظيفاً فنياً بارعاً، فالشاعر من خلال تناصته مع أيام العرب وحوادثهم، يغني فنه الأدبي، ويدعمه بطاقات تعبيرية، ليستمدها في واقعه الحالي وموقفه الشعوري.

كما يجد القارئ أسماء لأماكن تاريخية عرفها العرب واشتهرت بينهم، مثل أسماء المعارك التي خاضها الرسول – صلى الله عليه وسلم – مع المشركين، ومنها: موقعة بدر، وموقعة أحد، يقول ابن عثيمين عن ذلك[3]:

إِذَا ذُكِرَت يَوماً مَغَازِيهِ لَم يَكُن لِيَفضَحَهَا أُحدٌ وَلَم يَخزِهَا بَدرُ

فالناظر في النص الشعري السابق، يتبين له تفاعل ابن عثيمين مع انتصارات ممدوحه، فهو يعمد إلى معركتي (بدر) و (أحد) وهما من أوائل المعارك التي حظى الإسلام بها عزا وفضلاً، فمعركة بدر حدثت في العام الثاني من الهجرة بين المسلمين بقيادة محمد– صلى الله عليه وسلم– والكفار بقيادة عمرو بن هشام المخزومي القرشي (أبو جهل)، والتي حظي فيها المسلمون بالانتصار على الكفار[4]، بينما غزوة أحد كانت بين المسلمين بقيادة محمد – صلى الله عليه وسلم – والكفار

1– العقد الثمين، ص99.

2– الطبري، أبي محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، مج 2، ص166. وبحيرة ساوة تقع في محافظة المثنى جنوب العراق.

3– العقد الثمين، ص146، المغازي: جمع غزوة، فضحه: ذكر مساوئه، خزاه: أوقعه في الخزي والهوان.

4– ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج2، ص421 وما بعدها.

بقيادة أبو سفيان بن حرب، فكان النصر في بادئ الأمر لمحمد وصحبه، لولا انشغال بعض المسلمين بجمع الغنائم، تاركين مواقعهم الدفاعية، التي سمحت لمشركي مكة مخادعة المسلمين والالتفاف من خلف جبل أحد لينتصروا عسكرياً على المسلمين[1]، فابن عثيمين وظف حدثين تاريخيين، من خلال تعبيره عن معارك ممدوحه وأنها تسعى لنصرة الدين الإسلامي ونشر رايته، كما هو الحال في غزوتي بدر وأحد، فالغاية من ذكر الأحداث التاريخية عند ابن عثيمين من باب المماثلة والمشابهة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الكرام، فالشاعر وظف التناص ليترجم مايدور في مخيلته من معان سامية ودلالات هادفة وضمنها نصه من خلال بنيته الداخلية، فتحديد الهدف من تناصه جعله متماسكاً ومتوافقاً مع كلتا الحادثتين.

ويعمد ابن عثيمين إلى التناص التاريخي الذي يحمل ايحاءات ودلالات مقاربة مع ماقام به ممدوحه، فيقول[2]:

قَفَوا أَبَا بَكرٍ الصِّدِيقَ مَا وَهَنُوا لَمَّا دَعَا النَّاسَ وَالأَهوَاءُ تَضطَرِبُ

عبر ابن عثيمين عما تكنه نفسه في رؤية شعرية، وموقف وجداني نحو ممدوحه، فعند وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أصيب العرب باختلاف وتضارب في أفكارهم، مما أدت إلى ردة بعضهم عن الدين الإسلامي، فخرج عليهم أبو بكر، فقال مقولته الشهيرة: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالى:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ}[آل عمران، آية 144]، فعاد الناس إلى رشدهم بعد أن أغواهم الشيطان[3]. فموقف أبو بكر الصديق في العودة بالناس إلى الدين، غاية طمح لها ممدوحه وحققها، فعمد ابن عثيمين إلى هذه الحادثه، ليخدم الهدف الذي يبتغيه، ولتوظيف المعنى الذي يسعى خلفه. فاستحضر الشاعر هذه الحادثة التاريخية، ليترجم ويعبر عن الفكرة التي تجول في ذهنه، فجاء توظيفه للتناص ملائماً لها، متقاطعاً معها.

يقول ابن عثيمين في سلسلة من النصائح لممدوحه[4]:

وَمَن يَرمِ بِالآمالِ يَوماً لِغَيرِهِ يَكُن كَأَبِي غَبشَانَ إِذ فَازَ بَائِعُه

---

[1]–ينظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج2 ص499 وما بعدها.

[2]–العقد الثمين، ص126، قفوا: اتبعوا، وهنوا: ضعفوا، الأهواء: الآراء المختلفة.

[3]–ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج2، ص201.

[4]–العقد الثمين، ص189.

فالشاعر هنا يبين أن الأنسان عندما يُأمل أموره وشؤونه إلى غيره، فإنه سوف يندم، واستحضر الشاعر الحادثة التاريخية التي وقعت على أبي غبشان وهو رجل من خزاعه، وكان ولياً على مفاتيح الكعبة، ففي ذات ليلة اجتمع أبو غبشان مع رجل من قريش يدعى قصي بن كلاب في الطائف على الشرب، فلما سكر أبو غبشان خدعه قصي واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق من الخمر، ورحل بها إلى مكة، فلما أفاق أبو غبشان ندم ندماً شديداً على ماقام به، فضربت العرب به المثل في أضاعة الصفقة وخسارتها [1]، فارتبط نص ابن عثيمين مع الحادثة التاريخية ارتباطاً وثيقاً، مستثمراً ماتحمله الحادثة الغائبة من طاقات ودلالات تعبيرية، خدمت فكرته التي يريدها، ودلل بها على مايكمنه من ثقافاته الواسعة عبر الاتساع في قراءة حوادث العصور القديمة وأيامها. وابن عثيمين دائماً مايختم قصائده بالصلاة على سيد الخلق، الذي يحن القلب لرؤيته ويرق، فيوظف التناص في مجملها، ومن ذلك قوله[2]:

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ أَهلِ الكِسَاءِ وَصَحبِهِ المُتَخَيَّرِ

فوظف التناص التاريخي في نصه، مدلالاً به على تعلق قلبه بالأحداث التاريخية التي يقوم الرسول – صلى الله عليه وسلم–، فعندما نزلت هذه الأية على الرسول _ صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى: {.. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}[الأحزاب: 33] في بيت أم سلمة، دعا فاطمة والحسن والحسين فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال "اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً". قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: "أنتِ في مكانك وأنتِ على خير"[3]، والذي عمد ابن عثيمين إلى ترجمة هذا الحدث في بنية النص، ليدلل به على عمق الثقافة الدينية التي تملأ فكره وقلبه، فجاء تناصه مع الحادثة كعنصر من عناصر تجربته الأدبية هادفاً وواعياً، فوسع به آفاق المتلقي نحو هذه الحادثة، وأيقظ فيه الرغبة على التزود بقصص الصالحين الآول.

المبحث الثاني: التناص مع الشخصيات التاريخية:

ظهر في شعر ابن عثيمين استحضاره لعدد من الشخصيات، وذلك لما تحمله من أهمية بالغة من خلال ما تقدمه من قيم وسلوك مختلفة، فوظف ما يصور الخير، وما يصور الشر، واتخذها

[1]– صالح، عبدالقادر، الأمثال العربية، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1423هـ – 2002م، ص48.

[2]–العقد الثمين، ص221.

[3]– الترمذي، الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م، مج5، ص262.

محوراً عبر من خلاله عما يشعر به تجاه ما يصادفه من تجارب تتعالق مع أدوار الشخصيات التاريخية، وتتشابه معها.

وبذلك "يتخذ الشاعر من الشخصية التي يستدعيها واحداً من مواقف ثلاثة: إما أن يتحد بها ويتخذ منها قناعاً يبث من خلاله أفكاره، وخواطره، وآراءه، مستخدماً ضمير المتكلم، وإما أن يقيمها بإزائه ويحاورها متحدثا إليها ومستخدما صيغة الماضي، وإما أن يتحدث عنها مستخدما صيغة ضمير الغائب"[1].

و"طبيعي أن الشاعر حين يوظف شخصية تراثية فإنه لا يوظف من ملامحها إلا ما يتلاءم وطبيعة التجربة التي يريد التعبير عنها من خلال هذه الشخصية، وهو يؤول هذه الملامح التأويل الذي يلائم هذه التجربة"[2].

وقد وظف ابن عثيمين الشخصيات التاريخية في شعره بطبعها الجيد والرديء؛ للاستفادة مما تحمله تلك الشخصيات من دلالات وإيحاءات مختلفة، تساعده في التعبير عن معنى يجول في ذهنه تجاه أمر ما، وبالطبع فهي تضفي جمالاً وقيمة فنية على شعره، وتغني تجربته الأدبية والإبداعية، فضلاً عن أنها تبين مدى ارتباط ذاكرة ابن عثيمين بالتاريخ العربي، والثقافة الإسلامية والاجتماعية.

فيقول ابن عثيمين متكئاً على التناص مع الشخصيات التاريخية[3]:

عَبْدُالْعَزِيزِ الَّذِي نَالَتْ بِهِ شَرَفاً بَنُو نِزَارٍ وَعَزَّتْ مِنْهُ قَحْطَانُ

فابن عثيمين هنا يتناص مع بني نزار وقحطان، فنزار بن معد بن عدنان جد جاهلي، يتصل به النسب النبوي، كانت له سيادة وثروة كبيرة، وأعقب أربعة أبناء وهم: ربيعة، وإياد، ومضر، وأنمار[4]، وقحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشد ابن سام بن نوح، وهو أصل العرب القحطانية، وأبو لبطون حمير، وكهلان، والتبابعة، واللخميين، والغساسنة في الجاهلية [5]، فالشخصيتان السابقتان تتفرع منهما العرب كلها، وبظهور ممدوحه رزقت وحظيت العرب كلها بالشرف والعز، لإعادته لأمجادهم وبطولاتهم الأولى، وابن عثيمين عمد لذكر أصول العرب؛ ليبين فضل ومكانة ممدوحه عليهم، ومن خلال استلهام وتقاطع ابن عثيمين مع هذه الشخصيات؛ يوضح بأنه ذو ثقافة عالية

---

[1]– علي، عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص209.

[2]– المرجع نفسه، ص109.

[3]– العقد الثمين، ص68، نالت: أعطيت ورزقت، شرفاً: مجداً وفخراً.

[4]– ينظر: الزركلي، الأعلام، مج8، ص16.

[5]– ينظر: الزركلي، الأعلام، مج5، ص190 – 191.

بإطلاعه على الزمن الماضي وتوظيفه في نصوصه، فمنح نصه أفقاً واسعاً، وبعداً دلالياً رائعا. ودليلاً على قدرته الإبداعية في بلورة الشخصية التاريخية داخل نصه، وإعادة بنائه، ليخرج للمتلقي أكثر وضوحاً وتأثيراً في نفسه.

ونجد ابن عثيمين يقوم بحشد عدد من الشخصيات في نص واحد، مستفيداً بما اشتهرت به تلك الشخصيات من قيم رفيعة، فيوظفها في نصه، وذلك في قوله[1]:

هَذِي الْمَكَارِمُ لَا مَا رُوِيَ عَنْ هَرِمٍ وَلَا الَّذِي قِيلَ عَمَّنْ ضَمَّ غُمْدَانُ

فقد استثمر ابن عثيمين هاتين الشخصيتين للإستفادة مما تحلوا به من صفات، فهرم هو: هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، اشتهر بالجود والكرم، وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى، وعرف بخصلة الكرم هو وابن عمه الحارث بن عوف في دفع ديات قتلى عبس وذبيان، لاتمام الصلح بينهما، وكانت قد قدرت بثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين[2]. ومن ضم غمدان هو سيف بن ذي يزن الحميري والذي تحلى بالعزيمة الفتاكة، التي ساعدته في أزاحة ملك الحبشة عن اليمن فظل يعتاد النعمان، ولي كسرى آنذاك على العراق، فأدخله على كسرى، فأعطاه مالاً، وجيشاً من السجناء، فذهب بهم سيف إلى اليمن، فأعاد الملك إلى بني حمير، وأصبحت اليمن تابعة للفرس، على أن يكون ملكها والمتصرف بها سيف بن ذي يزن، فاتخذ (غمدان) قصراً له، دام ملكه خمساً وعشرين سنة، فتآمر عليه بعض الأحباش فقتلوه في صنعاء[3]. وابن عثيمين رأى في ممدوحه من الجود والعزيمة ما يفوق من اشتهروا بها مثل هرم وسيف فوظف تلك الشخصيات، وما تفردت به من مكارم، ليضفي على نصه أبعاداً دلالية في المعنى تثري تجربته الشخصية والإبداعية على حد سواء.

ويوظف ابن عثيمين بعض الشخصيات السلبية والتي تتقاطع وتتماثل مع أعداء ممدوحه[4]:

رَامُوا مَرَامَ شَقِيٍّ كَانَ قَبْلَهُمُ يُدْعَى ابْنَ مُلْجِمَ مَأْوَاهُ وَهُمْ نَارُ

فقد استثمر ابن عثيمين شخصية ابن ملجم، وهي من الشخصيات التي يصور بها الشاعر الشر، والذي فعل فعلته المشينة بقتل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وذلك بشرط من قطام بنت الشجية التي قتل علي أباها وأخاها، وهي التي رآها ابن ملجم فأعجب بها وخطبها، وكانت فائقة الجمال، فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم، وجارية و وخادماً، وأن يقوم بقتل علي، فحقق لها ما

[1]– العقد الثمين، ص87.
[2]– ينظر: الزركلي، الأعلام، مج8، ص82.
[3]–ينظر: الزركلي، الأعلام، مج3، ص149.
[4]– العقد الثمين، ص302.

كانت قد اشترطته فتزوجها [1]، وأتى ابن عثيمين بهذا الاستثمار بغية التوضيح لممدوحه بأن هؤلاء الذين هموا في اغتياله قد ابتلوا بالشقاء، كما بلي ابن ملجم به، فإن المأوى لهم نار جهنم.

ويكرر ابن عثيمين ذكره لشخصية هرم وهارون الرشيد، مضيفاً شخصية جديدة، فيقول[2]:

مَكَارِمٌ نَسَخَتْ مَا حُكْيَ عَنْ هَرِمٍ وَعَنْ بَرَامِكَةٍ فِي عَهْدِ هَارُونِ

فالشاعر هنا يشحن نصه بعدد من الشخصيات التاريخية، للاستفادة مما تحمله هذه الشخصيات من معان سامية وهي هرم بن سنان المري، الشهير بالكرم والجود، والبرامكة وهم عائلة من أصل فارسي، كان لهم حضور كبير في بلاط هارون الرشيد، وتولوا العديد من المناصب العليا في الدولة، والذي جعل هذا النفوذ يقوى ويمتن، حتى أن بعضهم أصبح يتصرف في أمور الدولة، مثل زوجة يحيى البرمكي التي أرضعت هارون الرشيد، إضافة إلى فضل يحيى البرمكي عليه بأن حفظ له ولاية العهد، بعد أن أراد الخليفة الهادي خلعه منها، ومن مكارمهم أيضاً أنهم كانوا يجزلون العطايا لمن يأتيهم، فعرفوا بالكرم والجود، وعرفوا أيضاً بالذكاء الباهر، والآراء السديدة [3]، وابن عثيمين يبين بأن ممدوحه يتحلى بمكارم رفيعة نسخت ومحت ما كان عند هرم والبرامكة، فالتناص مع هذه الشخصيات الكريمة أتى متوافقاً ومماثلاً مع رؤية الشاعر وفكرته تجاه ممدوحه، فالشاعر تمكن من دمج الشخصيات داخل نصه بإبداع فني وجمالي، وصل بها للغاية التي يريد التعبير عنها.

المبحث الثالث: التناص مع المكان:

اهتم الشعراء بتوظيف المكان في شعرهم اهتماماً ملحوظاً، ويعد من أهم الروابط بين الشعراء والمكان تلك العلاقة الروحية والنفسية بينهما، لذلك وظف الشعراء المكان لما علق في أذهانهم ووجدانهم نحو المكان، فيتردد صداه في قصائدهم كنوع من التعبير الوجداني الذي يسهم في نقل مشاعرهم النفسية، أو أن يكون رافداً شعورياً لرؤاهم الفكرية.

فالمدقق لشعر ابن عثيمين يلحظ " أنه صور الأماكن، والآثار، والمظاهر الطبيعية المختلفة، ووظفها في شعره؛ ليعبر عن قيم جمالية، ودلالات نفسية، واجتماعية مختلفة[4]. ومما يدلل على تناص ابن عثيمين مع البعد المكاني، قوله:

---

[1]– ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ – 1988م، مج 7، ص361.

[2]– العقد الثمين، ص323، نسخت: أبطلت وأزالت.

[3]– ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج8، ص205 وما بعدها.

[4]– السلمي، سليم ساعد، التناص في أدب ابن زيدون، ص177.

طُفْتُ الْمَعَالِمَ مِنْ شَامٍ إِلى يَمَنٍ وَمِنْ حِجَازٍ وَلَبَّتْنِي خُرَاسَانُ[1]

فَمَا لَقِيتُ وَلَنْ أَلْقَى وَلَوْ بَلَغَتْ بِي مُنْتَهَى السَّدِّ هِمَّاتٌ ووِجْدَانُ[2]

فابن عثيمين يوظف هذه الأماكن ليبين طوافه على هذه المعالم والأماكن، على تعاقب العصور والأزمنة، والتباعد ما بين هذه الأمكنة، لم يرى مثل ممدوحه في جميع صفاتهم الحسنة، ثم يذكر بأنه وإن وصل به التجوال على ما يستحيل الوصول إليه مثل سد يأجوج ومأجوج، فهو على يقين بأنه لن يجد مثله، فالشاعر هنا يتخذ " بعداً محورياً في سياقه الشعري، مسقطاً عليها ملامح تجربته الذاتية "[3]، والتي تمثلت بعناصر التباعد والأتساع. فابن عثيمين عمد إلى هذه المواضع لما بينها من تباين ومقابلة، فالحجاز مباين لخراسان، والشام مباين لليمن، فوظفها توظيفاً فنياً رائعاً، ليخدم بها رؤيته الشعرية، ويعبر لما يريد إيصاله للمتلقي.

ويقول ابن عثيمين موظفاً البعد المكاني أيضاً[4]:

حَاطَ الرَّعِيَّةَ مِنْ بُصْرَى إِلَى عَدَنٍ وَمِنْ تِهَامَةَ حَتَّى ارْتَاحَ جَعْلَانُ

فالشاعر هنا يتناص مع البعد المكاني، موظفاً هذه الأماكن، ليجعل لنصه قيمة جمالية وفنية، فالأرض الطويلة العريضة الواقعة بين هذه المواقع حمى الله سكانها بممدوحه، فنصه جاء منسجماً وموقفه الشعوري حول ما يراه من أمن في الجزيرة العربية. فارتكز عليها ليوضح أبعاده النفسية. ويقول ابن عثيمين[5]:

أَفِي الْغَرْبِ أَمْ فِي الْهِنْدِ فِيمَا عَلِمْتُمُ أَمِ الْيَمَنِ الْأَقْصَى وَمَا ضَمَّ جِلَّقُ

إِمَامٌ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَائِرٌ نُبَايِعُهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ وَنَصْدُقُ

فابن عثيمين هنا وكأنه يرمي إلى أبعد المواقع في جميع الاتجاهات؛ ليبين أنه لايوجد في كل هذه المعمورة من يضاهي ممدوحه في تطبيق الشريعة، والخطاب موجهاً إلى أعداء ممدوحه؛ ليتحققوا من تقيده بنهج السلف الصالح، فيصدقوه ويتبعوه، فالشاعر لم يحصر تناصه على أماكن ضيقه، بل

---

[1]–العقد الثمين، ص58، المعالم: المنازل، خراسان: بلد عظيم في بلاد العجم.

[2]–العقد الثمين، ص59، همات ووجدان: همة عالية وجدة وافية.

[3]– السلمي، سليم ساعد، التناص في أدب ابن زيدون، ص179.

[4]– العقد الثمين، ص72، بصرى: بلد بالشام، عدن: جزيرة باليمن، تهامة: ما انحط من غور الحجاز، جعلان: بلدة شرقي عُمان الأقصى.

[5]–العقد الثمين، ص116، جلق: دمشق، انظر: الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دارر صادر، بيروت، د.ط، 1397هـ – 1977م، مج2، ص154.

وظف أمكنه ذات مضامين بعيدة. وابن عثيمين عبر عن موقفه ورؤيته الشعورية حول ممدوحه، فوظف التناص المكاني توظيفاً فنياً، دلل به على سعة ثقافته، وعلى طاقاته الإبداعية.

ويقول ابن عثيمين موظفاً البعد المكاني[1]:

عِنَايَةٌ شَمَلَتْ نَجْداً وَسَاكِنَهُ بِهِ وَفَخْرٌ لَهُمْ مَا امْتَدَّتِ الْحِقَبُ

يستثمر ابن عثيمين البعد المكاني (نجد) ويوظفه في نصه؛ ليبين علو مكانة نجد في قلب ممدوحه، فهي موطن عائلة آل سعود، فقد رسموا فيه البطولات والأمجاد الشي الكثير، فهو عندما استولى على نجد أعاد أمجاد أبائه وأجداده، بل وجعل لكل سكانها فخرا وأعتزازا دون سواهم، وجعلها عاصمة البلاد.

الخاتمة:

النتائج:

1- شعر ابن عثيمين كان الهدف في غالبيته حث على الوقوف صفًا واحدًا مع الإمام عبدالعزيز طيب الله ثراه.

2- ابن عثيمين اعتمد على التناص التاريخي، لما وجد فيهما من قيمة جمالية وفنية لشعره، وبما تتمتع به الأحداث، والشخصيات، والأماكن من إضافة قيمة لنصوصه.

3- وظف الشاعر التناص الديني في نصوصه من باب النصح والإرشاد والتذكير لمن يحب، والغاية التي يرومها ابن عثيمين من إشاراته إلى النصوص التاريخية، فإنها تمثل برهاناً لقوله وحجة أوردها بلسانه.

4- أثبتت الدراسة ما يتضمنه شعر ابن عثيمين من ثقافة تاريخية، كان لها الأثر الأكبر في نفس المتلقي الذي يدرك عمق الثقافة والمعرفة التاريخية التي يتمتع بها الشاعر ابن عثيمين.

5- ليس كل ما يحدث في شعر ابن عثيمين من تناص متعمد، بل هنالك ما كان من محض الصدفة، وتأثير الثقافة.

التوصيات:

1- ديوان الشاعر بيئة خصبة للباحثين في شتى مجالات الشعر.

2- وضع العديد من قصائدة في كتب وزارة التعليم الدراسية مما سهَّل على الباحثين دراستها.

3- ضرورة التعريف بالشاعر وشعره في الإعلام بشكل عام.

4- ضرورة الاهتمام بالشعر الفصيح وشعرائه وترغيب المجتمع في ذلك.

[1]- العقد الثمين، ص128، الحقب: الأعوام الطويلة.

5- ضرورة توفير ديوان الشاعر لدى المكتبات العامة والخاصة بشكل أكبر.

قائمة المصادر والمراجع:

- القران الكريم.
- ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
- أبو شرار، ابتسام، التناص الديني والتاريخي في شعر محمد درويش، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2007م.
- الترمذي، الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م.
- رويشد، سعد بن عبدالعزيز، العقد الثمين من شعر ابن عثيمين، مطابع دار الهلال للأوفست، الرياض، ط 3، 1400هـ - 1980م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1979م.
- السلمي، سليم ساعد، التناص في أدب ابن زيدون، مكتبة الرافدين، إربد، ط1، 1434هـ.
- صالح، عبدالقادر، الأمثال العربية، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.
- الطبري، أبي محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت.
- علي، عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.
- نعيمة ح. ي.، & رسن ا. ح. (2023). المظهر التناصي في قصيدة الحكاية عند الشاعر حسب الشيخ جعفر. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث, 3(4). https://doi.org/10.56989/benkj.v3i4.224